

## ذكري

ميرنا الشدياق

## أجدادنا ماتوا في زمن المجاعة وذكراهم طي التجاهل بين الأمس واليوم وعبّر وذاكرة اللبناني مفقودة

تسببت المجاعة الكبرى (1915-1918) بوفاة ثلث سكان جبل لبنان. وقد ساهمت عوامل عدة في اشتداد تلك المأساة منها: الحصار البحري الذي فرضه الحلفاء في البحر الأبيض المتوسط، غزو الجراد للمحاصيل الزراعية، انتشار الأوبئة، والحظر الذي فرضه العثمانيون على المواد الغذائية. استمرت هذه المحنة ثلاث سنوات ولم تصل الى نهايتها الا بعد استسلام الالمان وهزيمة العثمانيين

عندما قرأنا عن المجاعة الكبرى في كتاب التاريخ ضمن المنهج المدرسي، لم نتخيل ونحن في سن صغيرة، نفتقر فيها الى الثقافة - او ربما لم تعط الحيز المناسب للتخيل- حجم الفاجعة التي عاشها اجدادنا بين اعوام 1915-1918، ولم تبق في ذاكرتنا الا صورة اسراب الجراد التي غطت سماء لبنان واكلت الاخضر واليابس.

ذكريات اخبرنا عنها اجدادنا بخجل، اذ انها لم تكن ذكريات بطولية ضد احتلال. قصصهم كانت مجبولة بالمولت على الطرقات، او ببيع اراضيهم وبيوتهم، او ببيع اجساد بناتهم ونسائهم مقابل حبة ليمون او كيس طحين. فيما تجار الهيكل في كل مكان وزمان يستغلون الام الناس وضعفهم. لقد مات اجدادنا جوعا. وبدل ان يهتم اللبنانيون بالحركات التحريرية ومكافحة فساد حكاهم كان مهمهم سد جوع ابناءهم، ولا شك في ان المجاعة ساعدت العثمانيين في مخططاتهم.

واقع عكسه جبران خليل جبران في قصيدته "مات اهلي" عندما كتب: "لم يميت اهلي متمردين، ولا هلكوا محاربين، ولا زرع الزلزال بلادهم فانقضوا مستسلمين. مات اهلي على الصليب. ماتوا واكفهم ممدودة نحو الشرق والغرب، وعيونهم محدقة بسواد الفضاء. ماتوا صامتين لأن اذان البشرية قد اغلقت دون صراخهم، ماتوا لانهم لم يحبوا اعداءهم كالجبناء ولم يكرهوا محبيهم كالجاحدين، ماتوا لانهم لم يكونوا مجرمين، ماتوا لانهم لم يظلموا الظالمين، ماتوا لانهم كانوا مسلمين، ماتوا جوعا في الارض التي تدر لبنا وعسلا. ماتوا لأن الافاعي ابناء الافاعي التهموا كل ما في حقولهم من المواشي وما في احراجهم من الاقوات".

ولأنه يقال ان اللبنانيين يعانون فقداناً جماعياً للذاكرة، بقيت هذه الفاجعة طي التجاهل لوقت



مدير قسم التاريخ والعلاقات الدولية في جامعة القديس يوسف الدكتور كريستيان توتل.

## نختلف على امور كثيرة في تاريخنا الا المجاعة الكبرى فلا احد ينكرها

يوسف الدكتور كريستيان توتل، الغبار عن وثائق وصور، اضافة الى مراسلات بين الاباء اليسوعيين ومخاتير والاهالي عن تلك الايام السود، كانت محفوظة في ارشيف الجامعة "ليبقى مين يخبر"، وجمعها في كتاب بعنوان: "الشعب اللبناني في مآسي الحرب الكبرى 1915-1918"، ومن ثم شيد نصباً تذكاريًا للمجاعة ضمن ساحة صغيرة مقابل جامعة القديس يوسف - المتحف، هو عبارة عن شجرة بقاعدة سوداء تتفرع منها اغصان، اوراقها ذهبية اللون على شكل كلمات بالخط العربي ترمز الى عبارات كتبها من عاصر زمن المجاعة، مجسداً معاناة اللبنانيين بشهادات اليمّة تم التعبير عنها بكتابات. تسلل اليأس الى نفوس اللبنانيين، كان مهمهم

طويل واستكتر السياسيون على 200 الف ضحية ماتوا جوعا، يوما وطنيا يذكر اللبنانيين بالمأساة، ومن المتعارف عليه ان من لا يتذكر ماضيه محكوم عليه بتكراره. في العام 2014 نفّض مدير قسم التاريخ والعلاقات الدولية في جامعة القديس

تأمين معيشتهم، ارتفعت الاسعار ارتفاعاً جنونياً وانهارت العملة، تجار احتكروا المواد الاساسية... هو وصف لمشهد في زمن المجاعة يشبه الى حد ما يوميات مواطن لبناني اليوم. في هذا السياق، اجرت "الامن العام" حواراً مع الدكتور توتل الذي تحدث عن محطات احياء ذاكرة معاناة اجدادنا في زمن المجاعة الكبرى في ظل تعقيدات غير مفهومة.



النصب التذكاري في ساحة المجاعة.

ولا وجود لأي مساحة لهم في لبنان. فبدأت العمل على اقامة نصب تذكاري لحياء الذاكرة من خلال عمل مشترك بيني وبين فريق عمل من جامعة القديس يوسف بالاشتراك مع رمزي توفيق سلامة، ونظمت مباراة شارك فيها عدد من الفنانين، والفنان الذي قدم المشروع الاقرب الى نظرنا كان الفنان يزن حلواني.

■ النصب قائم اليوم ولكن لماذا لم يتم تدشينه؟ □ لم يتم تدشينه في العام 2018 لأن تعقيدات سياسية حالت دون ذلك. النصب موجود في بيروت، ولا اريد تدشين ساحة المجاعة في ايام نحن نجوع فيها، مما يشكل نوعاً من الاستفزاز للشعب اللبناني والبيروتي تحديداً. كان هدفنا تدشين الساحة في العام 2016 الا انه بسبب تدخلات سياسية وضغوط، تم تأجيل المشروع. علماً ان النصب اصبح شرعياً بصرخات الجوع، وبدموع اهالي الذين ماتوا جوعاً في المجاعة الكبرى. النصب ليس بحاجة الى تدشين، ولا احد في الدولة يستأهل تدشين ساحة لمئتي الف شهيد. الساحة موجودة امام جامعة القديس يوسف في منطقة المتحف على ارض تابعة لبلدية بيروت، وقد نفذ المشروع بالتعاون مع بلدية بيروت ومحافظة المدينة. انا المؤتمن على هذا النصب بصفتي مدير قسم التاريخ في الجامعة، وقد تعرض لسرقة لوحات نحاسية منه كانت قد وضعت عليه ودونت عليها بعض النصوص التفسيرية.

■ يعيش لبنان اليوم مأساة تشبه ببعض مسبباتها تلك التي سادت في زمن المجاعة الكبرى، ما هي ابرز نقاط التشابه؟ □ في تلك الفترة كان العدو خارجياً، الاتراك تحديداً وجمال باشا المعروف بالسفاح، واليوم العدو نوعاً ما هو خارجي متمثلاً ببعض الدول التي لا تريد ان يتنفس لبنان وتستعمله كمنصة لاطلاق صواريخها على العالم كله. يريدون حل مشاكلهم على حساب لبنان. كذلك في زمن المجاعة كان هناك احتكار التجار الذي جوع اللبنانيين بشكل هائل. احتكروا الحنطة والطحين ثم قاموا ببيع هذه المواد بأسعار خيالية. اليوم نعيش ظروفًا مماثلة، والاحتكار واضح في حياتنا اليومية. ◀

## وفقاً لإتفاقية حقوق الطفل والقانون اللبناني 422/2002

**أنا طفل/ طفلة تحت 18 سنة**

**من حقّي يتأمّن مصلحتي الفضلى**

**وكون محمي/محمية من كلّ أنواع العنف والاستغلال والإساءة  
وين ما كان حتى بالمراكز الأمنيّة**



أنا موجود حدكم،  
لتأمين سلامتكم  
وحمايتكم، طيلة  
فترة وجودكم  
في مراكز الأمن  
العام اللبناني



من حقّي إنني  
شارك وأعطي  
رأيي بكل الأمور  
بتخصني وبتتعلق  
بأمانتي  
وسلامتي



من حقّي الحصول على  
التمثيل القانوني  
ومساعدة  
اختصاصيين/ات  
ومندوبين/ات  
اجتماعيين/ات والتواصل  
مع عائلتي في حال تمّ  
التحقيق معي من قبل  
عناصر الأمن العام



في حال  
تعرّضتوا لأي سوء  
معاملة داخل مراكز  
الأمن العام،  
فيكن، إنتوا أو أي  
شخص راشد،  
تتصلوا على  
الرقم 1717



من حقّي ما تعرّض  
للتمييز بغض النظر  
عن جنسي أو حاجاتي  
أو معتقداتي أو وضعي  
المادي



صور من زمن المجاعة الكبرى (ارشيف الجامعة اليسوعية).



رسائل من اهال ومخاتير ورهبان لطلب المساعدة او وصف واقع المعاناة حتى يبقى "مين يخبر".

اللبنانيون كانوا ينتظرون على الشاطئ وصول  
بواخر المساعدات من المغتربين اللبنانيين الاتية  
من الولايات المتحدة الاميركية التي لم تصل  
وبقيت في البحر، ثم رميت المساعدات منها لانه  
لم يسمح لها بالوصول.

اليوم المشهد نفسه. اللبنانيون ينتظرون يوميا،  
كانتظار وصول باوخر البترول لتفرغ حمولتها  
لتشغيل معامل الكهرباء مثلا. يا للاسف ما زلنا  
نعيش المواقف نفسها.

في زمن المجاعة الكبرى، الجراد ضرب لبنان عام  
1915 واكل الاخضر واليابس كغيمه سوداء  
اجتاحت لبنان. انا اعتبر، ولسوء الحظ، في 2020  
عامل خارج عن ارادتنا غطى سماء لبنان  
كغيمه سوداء، هو انفجار مرفأ بيروت الذي  
شكل فاجعة للبنانيين عموما والبيروتيين خصوصا.  
البعض يتقبل هذه المقارنة فيما البعض الاخر  
يقول "تذكرنا بالماضي ولا نريد ان نتذكر المأساة"،  
لذا الموضوع مفتوح للنقاش.

الفارق الوحيد بين الماضي واليوم هو انه بين  
1915-1918 كان المسيحيون اكثر المتضررين من  
المجاعة الكبرى لأن 95 في المئة من الضحايا كانوا  
من المسيحيين، اما اليوم فمن يجوع هو الشعب  
اللبناني كله، بكل طوائفه وفتاته. اليوم لسنا نعيش  
في مجاعة بل في جوع، اليوم هناك اناس جائعة  
ولكنها ليست مينة من الجوع.

كانت هناك محاولات لقرار قانون في  
مجلس النواب يكرس يوما لذكرى المجاعة  
الكبرى، لماذا لم يقر؟

حاولت جامعة القديس يوسف عبر قسم التاريخ  
طرح موضوع اقامة يوم وطني للمجاعة الكبرى، الا  
ان الموضوع لا يزال ضائع بين الكتل النيابية.

نحن نختلف على اتفاق الدوحة واتفاق الطائف  
واستقلال 43 ودولة لبنان الكبير والحرب  
اللبنانية واتفاق القاهرة. نختلف على مجازر  
1840 و1860 وعلى القامقاميتين. نختلف على  
كل الامور في تاريخنا، فيما الامر الوحيد الذي  
نتفق عليه هو المجاعة الكبرى ولا احد ينكر  
حصولها. فهل من الممكن ان يحيد النواب  
عن هذا الموضوع ويتكونه للمؤرخين اصحاب  
الاختصاص والاكاديميين، ويتم تاليا سحبه من  
التجاذب السياسي لأنه عامل جمع لا تفرقة.

هنا اؤكد ان هناك جامعا مشتركا  
اساسيا بين زمن المجاعة الكبرى واليوم،  
يتمثل في اهانة الشعب اللبناني. في زمن  
المجاعة كان المطلوب تركيع هذا الشعب  
وتجويعه حتى يخضع لأمر الاتراك، اما  
اليوم فهناك تجويع للشعب اللبناني لكي  
يخضع لاجندات خارجية.

**اليوم هناك اناس  
جائعة لكنها ليست مينة  
من الجوع**